

الياس لحدود

مدافع اعماق الجولان

تصحو أشواق سفوحك .. تخضر العتمات ..
تدوّن ايقاعات الوتبة في أجنحة الزمن
الصاعد من حفر التاريخ ، وطائرة
تنقضّ على طائرة تسقطها في الصخب ،
تعود إلى الاجواء العربية .. بالامس
رأينا عملاق الاسطورة ينزل عن سهوات
الالهة ليصبح في اسر الاحزان بقايا
انسان مشدود الاذنين ..

وتصدح في الاحداق مدافع اعماق الجولان
كان الوتر السادس في القيثارة يعزف وحده ..
اعرفكم تنتظرون ، على جثث الايام ، الفرحة
اعرفكم تصبون وفي الاعماق اجيج الالحان
الخامدة يطأطأء مضغوطا .. اعرفكم في
الاودية وفي القمم الفاضبة .. مدافع
اعماق الجولان .. كان آوتر السادس ،
طائرة تصعد في العصب الدايل ..
ينتفض الشريان العصب ، يطير
النسر تنوح الدبابات الاخرى ،
طائرة تسقط اسطوره ..
تلتطم الجهة الاخرى بالتاريخ يفيض
اللحن ويفرق آخر ضوء ، ينزل علم
عن صهوة قمه ..
يتدحرج يأس آخر ،

مدافع اعماق الجولان
وكان الفجر ينادي المرتفعات الوسطى
كانت الحان القيثارة من كل مكان تبدو
حتى من سيناء ..
مدافع اعماق الجولان
وصواريخ الليل ، انا في ليلة عرس اكبر

(بيروت - مرجيون)

ضد « العالم المتحضر » .

وينسبة ما « يحترمنا » « العالم المتحضر » على هذه الحرب ،
وينسبة ما يدين نفسه . فبسببه وحده وقعت .
وهو الآن « يحترمنا » لاننا خضناها .
وها نحن نحترقه على هذا « الاحترام » .
ففي « احترامه » هذا فضيحتة كلها .

الفعل ، الفن ، أيهما ؟

توفيق الحكيم يطلب « عملا يدويا » يساهم به في المعركة لان
الكلمة ، كما قال ، لم تعد تكفي الآن .
وبالامس ، شيخ آخر هو اندريه مالرو ، شيخ كلمة وشيخ عمر ،
عرض هو ايضا ان يحمل السلاح .

لماذا يتأثر الناس بنوع خاص حين تصدر بادرة كهذه عن فنان ؟
لان الفن هو ، بالضبط ، عكس الحرب . فالاول يحيي والاخرى
تميت ، والاول فعل حب والاخرى اما ان تكون فعل يأس او تكون
فعل جنون .

ولان الفن هو نقيض الحرب ، فعندما يقدم الفنان نفسه هدية
في ساحة المعركة ويطلب ان يحمل السلاح كالجنود ، او ان يقوم
بعمل « يدوي » نافع نفعا مباشرا وسريعا ، فانما يعطي الحرب وجهها
انسانيا يرقى بها الى مستوى الجهاد المقدس في سبيل مثل عليا
طاهرة .

يعطيها « ضميرا » ، يعطيها شفاعة عند الروح .

وهكذا يتعطل الفن ، تتعطل الكلمة حين يعمل المدفع .

وقبل ذلك قال نزار قباني ، عندما سئل كلمة في المعركة :
الكلمة الآن للمعركة .

وأمس قال لي مسرحيان صديقان : اوقفنا مسرحية كنا نعددها ،
ولا نعرف ان كنا سنعمل غيرها ، فلا نشمر ان هناك الآن ما نستطيع
ان نقوله ..

لماذا ؟ لماذا يتعطل الفن في الحرب ؟ ربما لان الفن تأمل والحرب
حركة ، ولان الحركة تنسف التأمل . ربما . وربما لان الفن حلم
يخترق الحياة ، ولان الحرب يقظة تجتاح التاريخ .
ربما .

لكن ابقى الفنان مشلولاً امام طغيان التاريخ ؟ ام يتخطاه بروياه ،
بحسده ، بالجزء اللازمي فيه ؟

الفعل ، الفن ... أيهما ؟ أيهما ؟

حيرة قديمة .

لكن الفنان ، اذا فضل الفعل في لحظات استثنائية من
التاريخ كالحظات التي نعيشها ، فانما يفعل ذلك عطاء منه « فوق »
عطائه الاصلي . يفعل ذلك ليعطي مثلا وليس يفعل ليسحب الثقة
من الفن .

فالفن هو ذاته يتضمن الفعل . يتضمنه ويبدعه ويسبقه ،
ويبقى بعده .

الفعل ، الفن ... أيهما ؟ أيهما ؟

حيرة قديمة .

ويتردد الفنان احيانا ، وقد يتردد طويلا قبل ان يجيب . لكنه
في النهاية يجيب : الفن .

لكل جبهته .

ولكل سلاحه على جبهته .

ولكل استشهاده ...

ملحق النهار

٢١ تشرين الاول